



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يدلي بحديث للقناة التلفزيونية الفرنسية فرانس 2

بثت القناة التلفزيونية الفرنسية «فرانس 2» برنامجا عن مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء استهلته بحديث أجرته مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني كـ «ضيف استثنائي» في هذه الحلقة الأولى من سلسلة برامج تبثها هذه القناة بمناسبة شهر رمضان تحت عنوان «قافلة الليل».

وأبرز جلالته الملك الحسن الثاني في هذا الحديث الذي أجراه مع جلالته في المغرب منشط الحلقة السيد فريدريك ميتران . . أن المغرب بقدر ما هو متجذر في أكثر الممارسات قربا من أصول ومنابع الدين الإسلامي الحنيف بقدر ما هو متفتح على الدعوة للتسامح مع الديانات الأخرى.

ويتضمن برنامج «قافلة الليل» الذي يخرج به السيد توفيق فارس والذي افتتح بهذا الحديث مع جلالته الملك وبروبورتاج مطول عن مسجد الحسن الثاني باعتباره «أحدث الصروح المقدسة في الإسلام» سلسلة من الحلقات المخصصة على التوالي لجامع الزيتونة في تونس ومسجد مدريد باسبانيا وجامع تومبوكتو بهالي.

وفيما يلي النص الكامل لحديث صاحب الجلالة للقناة التلفزيونية الفرنسية:
سؤال:

يسعدنا ويشرفنا ان نستضيف في هذه الليلة الأولى من ليالي رمضان المخصصة لبرنامج «قافلة الليل» شخصية كبيرة ألا وهي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب .
واسمحوا لي يا صاحب الجلالة ان أعرب لكم في البداية عن تشكرات الجمهور الفرنسي بصفة عامة والمسلمين في فرنسا بصفة خاصة على تفضلكم بقبول المشاركة في هذا البرنامج .
ان سؤالي الأول يتعلق بظاهرة لفتت انتباهي كثيرا وهي أن هناك نوعا من الجهل في الغرب برسالة الاسلام وبالطريقة التي يمارس بها .

فهل يمكنكم ان تشرحوا لنا بايجاز الأسباب الكامنة وراء هذا الجهل؟
— جواب جلالته الملك :

أود في البداية أن أقول لكم كم أنا حريص كلما سمحت لي الظروف بذلك على متابعة برامجكم ذلك أنني أجدها مطبوعة بروح الرغبة في المعرفة ونشرها خاصة وان هذا البحث عن المعرفة يطبعه التواضع الذي لا يمكن تفسيره إلا بالحرص على احترام الآخرين .

وأود كذلك أن أشكركم على هذه المشاعر لذلك ان احدى خصائص الاسلام هي التواضع .
اما فيما يتعلق بالجواب على سؤالكم فأظن ان انعدام التواصل هو الذي جعل الجهل يلف حقيقة الاسلام والحضارة والثقافة الاسلاميتين .

ففي السابق كان علماءكم في العصر الوسيط يأتون من أجل المعرفة لتعلم اللغة العربية ودراسة الطب



والفلسفة العربيين .

أما الآن فقد انقلبت الآية وضرنا نحن الذين نذهب للتعلم في الغرب .
وأنا على يقين من أنه لو كان هناك انتشار أفضل لصورة الاسلام ولحضارته ورسالته لفتح ذلك آفاقا جديدة للكثير من الاشخاص ، ولا أدل على ذلك من هذا العدد الكبير من المستعربين والمختصين في الدراسات الاسلامية المعروفين خاصة في فرنسا . ذلك ان هؤلاء كتبوا أشياء رائعة عن الاسلام ولغته وثقافته بل ان البعض مثل ماسينيون الذي كان معتقلا في سوريا جددوا ايمانهم من خلال التصوف الاسلامي .

وأظن في الوقت الراهن ان هناك ما يكفي من وسائل النشر بحيث يمكن لأي كان ان يثير اهتمام وفضول العالم الغربي بما نسميه الفنون والثقافة والحضارة الاسلامية .
سؤال :

من بين الأفكار المسبقة حول الدين الاسلامي التخوف من عدم تسامح هذه الديانة رغم تأكيد القرآن على أنه «لا إكراه في الدين» . فكيف التعامل مع هذا الواقع . ؟
— جواب جلالة الملك :

ان الامر يتعلق هنا ايضا بالجهل ذلك أن القرآن الكريم لا يتضمن هذه الآية وحدها ، بل هناك آيات أخرى في نفس المعنى وخاصة في سورة البقرة حيث يقول عز وجل : ((كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . .))

ومن بين تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم انه عندما يجد مسلم نفسه في بلد غير اسلامي ويريد ان يصلي فلا يجد مسجدا فيتعين عليه أن يبحث عن كنيسة أو بيعة لأداء صلاته بدل أدائها في الشارع أو في مكان عمومي .

وأعتقد ان الجهل لا يمكنه ان ينطوي إلا عن عدم التسامح .
وعلى كل حال فإن لفظ الكرم الذي كان مستعملا في القرن السابع عشر كان له في الحقيقة هذا المعنى . فحينما يقال عن رجل بأنه كريم فان ذلك يعني انه كان يعطي من فكره ولكنه يتقبل كذلك افكار وعواطف الآخرين . وأعتقد انه ليس هناك تناقض بين الأمرين وان الامر يتعلق هنا أيضا بالجهل .

سؤال :

ألا يتعين التزام الحذر من مدلول بعض الكلمات التضليلي الذي هو رديف للجهل . فعلى سبيل المثال غالبا ما نفهم في صحافة الغرب ان لفظ «أصوليين» يعني حركات تفسد رسالة الاسلام حسب فهمي . فهل أنا مخطيء . ؟ وكيف يمكن استعمال لفظ «أصوليين» الذي يتردد كثيرا . ؟
— جواب جلالة الملك :

من حسن حظ اللغة الفرنسية أن لها كلمتين لوصف هذه الظاهرة : فعندكم كلمتا «أصوليون» و«غلاة» .

ونحن في المغرب اصوليون أي بقينا أقرب ما يمكن من أصول الدين الاسلامي الحنيف ، ولكننا لسنا بغلاة وفي المقابل فلا توجد في اللغة الانجليزية سوى كلمة «اصوليون» .
فالغلو موجود في كل الديانات وهناك حديث لرسول الله يقول :



«ان هذا الدين يسر ولن يشاد احدكم هذا الدين إلا غلبه»
اذن لماذا البحث عن غلو يمكن اعتباره نوعا من المازوشية بالنسبة للفرد ازاء نفسه؟ وهي مازوشية
تتحول الى سادية وعدم تسامح تجاه الآخرين . ان الاصولية تعني التثبيت بالاصول والتثبيت بالفلسفة
الحقيقية للدين وفلسفتنا الاسلامية هي التسامح والتساكن وفهم الآخرين .
سؤال :

صاحب الجلالة لقد سافرت كثيرا في المدة الأخيرة الى الشرق الاقصى واسترعى انتباهي اننا نجد في
عدد من المجتمعات - التي تعبد عدة آلهة أو التي تقدر آلهة من الطبيعة - شخصيات ذات سمو
أخلاقي وفلسفات ممتازة . فهل الدين توحيد في كنهه وكيف تكون الحاجة الى الله والبحث عن الاله
في حد ذاتها أمر مهم . . ؟
- جواب جلاله الملك :

ان البحث عن الكمال في معرفة الله ليس أمرا محرما لا في الاسلام ولا في النصرانية ولا في اليهودية .
بل على العكس فهو أمر مستحب إلا أنه لا ينبغي أن يكون إلا من أجل معرفة الله الواحد الأحد . فما
يميز الديانات السماوية الثلاث هي أنها أولا تنحدر من حيث التسلسل التاريخي من سيدنا ابراهيم ،
وانها كلها تدعو الى عبادة الله وحده . والله ليس بظالم فهو يسمح بالبحث عنه في الكتب المنزلة وفي
الكون وفي كل ما خلق .
وأعتقد انه ليس هناك أي تناقض بين البحث عن الله في الكتب المنزلة وبين البحث عنه في الكون
بل على العكس من ذلك تتجلى عظمة الله في مخلوقاته . والاكيد ان محاولة البحث عن الله من باب
الشرك هي بدعة تحرمها الديانات الثلاث .
سؤال :

لقد شاهدت هذا الصباح القس بيير في التلفزة وقد استرعى انتباهي حماسه وتحريضه للجماهير من
أجل فعل الخير . ما هو رأيكم في هذا الشخص ؟
- جواب جلاله الملك :

إني أعرف القس بيير منذ حوالي 35 سنة لما كان برلمانيا . وقد كان متحمسا جدا ولا زال .
وانا أتبع كل برامج ونشاطاته لأنه في نهاية المطاف يدعو الى اليقظة واستباق الاحداث والبحث
المعمق الى أقصى حد لمعرفة حاجيات الفقراء انه يحث على الكفاح المتواصل من أجل تحسين وضعية
الانسان .
وكل هذه المبادئ هي تقليديا وتاريخيا مبادئ دياناتنا الثلاث . وهو يقوم بذلك بطريقة الخاصة
المتميزة بالحماس وحضور البديهة واختيار العبارة المناسبة التي تكون مدوية عند الضرورة . . واعترف بأنني
أعجب القس بيير على الحماس الذي لا زال يتحلى به وهو في هذه السن .
سؤال :

لقد سبق لكم في إطار الحوار الأخوي الذي فتحتموه مع اتباع الديانات الاخرى ان استقبلتم البابا
وهو حدث ذو دلالة بالنسبة لنا نحن الغربيين . فما هو تقييمكم لدلول هذا الحدث . . ؟
- جواب جلاله الملك :

لقد جاء في القرآن الكريم ان عيسى عليه السلام روح وكلم الله . وبما أن البابا يمثل في شخصه كل



أتباع الديانة المسيحية لا يسعني بصفتي سبط الرسول وأمير المؤمنين إلا العودة الى الأصول من خلال لقاء زعيم روحي آخر.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى في حياتي التي ألتقي فيها أحد الباباوات . فقد كان بيوس الثاني عشر هو أول من التقيت به وبعده التقيت بالبابا مرتين احدهما في روما باسم لجنة القدس والثانية عندما شرفنا بقدومه لأرض الاسلام للقاء اخوانه في الله .

سؤال :

ان ما كان أكثر اثارة هو حشود الجماهير التي اتت لتحيته؟

— جواب جلاله الملك :

أجل لقد كانت هناك حشود غفيرة . ومرد ذلك كوننا عاشرنا العديد من المسيحيين سواء الكاثوليك أو البروتستانت الذين لا تعيننا الخلافات الداخلية بينهم . فعدد من اساتذتنا وأطبائنا كانوا مسيحيين . وعليه فان لقاء زعيم المسيحيين والكاثوليك ليس أمرا جديدا بالنسبة لنا . ومما لاشك فيه ان شخصية البابا جذابة للغاية ولم يسبق لأحد الباباوات ان احتل الصدارة في الصحف والمجلات مثل البابا يوحنا بولس الثاني . كما أن لقاء شخصيتين بلباسهما الأبيض التقليدي يمثلان ديانيتين تدعوان للحب والسلام كان حدثا فريدا من نوعه وهذا ما جعل الشوارع تكتظ بالناس .

سؤال :

إن أداء فريضة الصوم يتطلب التحلي بايمان قوي واعتبارا لذلك تعتبر هذه الفريضة متميزة من بين الفرائض الاسلامية الاخرى .

ما هو رأيكم في الاشخاص الذين يجدون مشقة كبرى في الصوم في بلد مثل فرنسا حيث يسير المجتمع بوتيرة تختلف عن وتيرة الدول الاسلامية في هذا الشهر؟ .
ماذا تودون قوله لهؤلاء الذين يقومون بهذا المجهود الكبير . ؟

— جواب جلاله الملك :

أقول لهم أولا بأن لهم أجر عظيم ذلك لأن الصيام زهد يصبح أكثر سهولة حين يؤدي وسط الجماعة .

ثانيا من الأكيد أنه كلما توجهنا صوب الشمال إلا وأصبح النهار أطول والليل اقصر ذلك عكس ما يعتقد البعض مع العلم ان أوقات العمل ليست مطابقة لتلك المعمول بها في الدول الاسلامية .
لهذا فإن الذين يؤدون هذه الفريضة في مثل هذه الظروف يستحقون كل تقدير وأنا على يقين من أن الله سيثيبهم على ذلك .

سؤال :

وبصفة عامة يا صاحب الجلالة ان ممارسة شعائر دين معين إما أن تكون مواكبة للتحويلات التي تشهدها مختلف العصور تبعا للاكتشافات العلمية ولمجموعة من الاشياء أولا تكون . فهل الدين الاسلامي يساير التطورات الجارية؟

— جواب جلاله الملك :

في موروثنا الاسلامي لم يسبق لنا نحن المسلمين ان وضعنا احدا في محرقة . . ولم يسبق لنا اطلاقا ان أحرقنا أحدا لتخليصه من الأرواح الشريرة أو لأنه قال بان الارض تدور . واذن فنحن متفتحون بطبعنا



ولذلك فإننا نتطور. وإلى ذلك فانه حتى في عهد الرسول عرف الدين الاسلامي عددا من التطورات. لقد أمر الله بقطع يد السارق وهذا عقاب كما في جميع القوانين الجنائية. ففلسفة القانون الجنائي تقوم على اعطاء العبرة لمن يعتبر لدرجة انه حتى عقوبة الاعدام لم يشرع في إلغائها إلا في غضون العقود الأخيرة. وكان الأمر الى حد الآن كالآتي من قتل نفسا وجب قتله إما بضرب رقبة أو شنقه. وبالنسبة للإسلام فانه بعد فترة وجيزة من وفاة الرسول عم الجفاف فأمر الخليفة عمر بعدم قطع يد السارق لأنه كانت هناك ظروف تخفيف. وبطبيعة الحال إذا قمنا - وأنا هنا أتحدث عن بلدي - بفعل نفس الشيء فإننا سنضع أعباء اجتماعية ثقيلة على كاهل الدولة لأننا خلقنا معدما من الناحية المادية وعاجزا من الناحية الجسمية. كما سيكون من باب السخرية ان نطلب من شخص ما ان يذهب لتقاضي معاشه لأن يده قد قطعت اذن لابد من مسايرة تطور البشرية. وإذا كان من غير الجائز المساس بالفرائض فانه ينبغي التكيف مع العصر اذا كنا نرغب في التسامح الذي يعني الأخذ والعطاء فإذا كان المرء يرغب في الأخذ فان عليه ان يكون في مستوى هذا الأخذ وإذا كان يرغب في العطاء فعليه ان يتعلم الأسلوب البيداغوجي للعطاء واذن فإن الامر يتعلق بتكيف متواصل من طرف المؤمن، لكن من دون المساس بأركان الإسلام المتمثلة في الايمان بوحداية الله وبأن محمدا عبده ورسوله واقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

سؤال:

جلالة الملك لقد زرنا مسجد الحسن الثاني الرائع بالدار البيضاء وأريد ان أطرح عليكم سؤالا: هل هذا المسجد الرائع هو رمز لعهد زاهر أم هل هو عمل نابع من الايمان أم هل هو تعبير عن الانتماء للأمة الإسلامية؟

— جواب جلالة الملك:

هو قبل كل شيء عمل نابع من الايمان وهو كذلك عربون محبة لمدينة الدار البيضاء التي كانت تبدو لي مدينة بدون اشعاع روحي. وأخيرا أنه عمل وطني ذلك انني أردت ان أظهر الان وللأجيال القادمة ان المغرب هو ذلك البلد الذي سيواصل دائما وبعون الله التشبث بما هو تقليدي وثابت مع قبول اكثر التقنيات حديثة وتسخير هذا المزيج في ذلك الطابع الذي ميز المغرب على الدوام وهو كونه صلة وصل ليس فقط بين الشرق والغرب وانما ايضا بين الأمس واليوم وغدا وهذا ما جعلني أشيد هذا المسجد.

سؤال:

هلا تفضلتم يا صاحب الجلالة قبيل وداعنا بقول كلمة الى كل من يشاهدكم من المغاربة وإلى كل المسلمين والفرنسيين وإلى كل أولئك الذين بقوا أمام جهاز تلفزتهم لتتبع حديثكم هذا.

— جواب جلالة الملك:

باديء ذي بدء أقول لكافة الذين يشاهدونني مهما تكن معتقداتهم «السلام عليكم» وبعد ذلك سأطلب منهم أن يتصوروا بان عدد المسلمين في العالم يصل الى مليار ومائتي مليون، وإذا ما وجدنا ضمن هؤلاء المسلمين لنقل 0،001 بالمائة - وهذا على كل حال سيشكل بضعة ملايين - من لا يتماشى سلوكه مع بعض الشعائر الدينية الا يحكم على المليار والمائتي مليون مسلم من خلال هذه النسبة. وانني أود إبلاغ المشاهدين رسالة محبة لكون التسامح منبثق من رحم المحبة ولذلك فإننا نتمنى التسامح والاخوة ونطلب من الله نحن المسلمين ان يهدينا حتى لا نخدش قواعد حياة من نعيش بين ظهرانيهم.

20 رمضان 1414 - 3 مارس 1994